حجّة الرِّهان[1]

جوشوا غولدينغ[2]

١. مُلخّص

تسعى الحجج التقليدية لعقلانية المعتقد الديني، كالحجج الأنطولوجية والكونية والغائية، إلى أن تُثبت وجودَ الله أو أن تُظهِر أنّ وجودَ الله مُمكنٌ على مبنى دليل الحواس. يُمكن أن تُسمّى هذه الحجج بالحجج المعرفية[3] لأنّها تهدفُ إلى أن تُظهِر إمكانية أن نعرف وجودَ الله إمّا على نحوٍ قطعيٍ أو مُرجَّح. في المقابل، تهدفُ الحجّة المعروفة بـ«رهان باسكال»[4] إلى أن تُظهِر أنّه من العقلاني الاعتقاد بالله بناءً على التفكير بالقيمة المحتملة لامتلاك هذا الإيمان. وعليه، يُمكن أن يُطلَق على حجّة الرهان أنّها حجةٌ براغماتية للإيمان بالله.

سوف نُلخِّصُ «رهان باسكال» فيما يلي. نحن نواجه قرارًا: هل نؤمن بالله أم لا؟ بما أنّنا نتصوّرُ أنّ الله لانهائي بينما العقل البشري هو محدود، فمن المستحيل لنا أن نُقيّم إذا كان الله موجودًا أم لا. حينما نستخدمُ قابلياتنا المعرفية وحدها،

---

1. Golding, Joshua. “The Wager Argument”, In Contemporary Arguments in Natural Theology, edited by Colin Ruloff and Peter Horban. Bloomsbury, 2021.

٢. أستاذ في الفلسفة في جامعة بيلارمين (Bellarmine University).

3. Cognitive

4. Pascal, Pensées, 92-96.

فـلا يُمكن أن نتّخذ هذا القـرار عقلانيًا[١]. ولكنّ القرار قـسري. يجب أن نُقرِّر بطريقةٍ مُحدّدة ما هو الذي نؤمن به. وعليه، يجب أن نؤسِّس قرارَنا على التفكير في الأثر الممكن للإيمان بالله (أو عدم الإيمان به) على خيرنا أو سعادتنا. عند النظرة الأولى، يبدو أنّـه لدينا كلّ شي لنربحه ولا شيء لنخسره إذا اخترنا الإيمان بالله، وذلك لأنّه إذا كان الله موجودًا وآمنّا به فسوف نُحرز سعادةً عظيمة في الآخرة، وأمّـا إذا لم يكن موجـودًا وآمنّا به فلم نخسر الكثير (سـوف نذكرُ كيف صقلَ باسكال هذه الخطوة الأخيرة بعد وقتٍ قصير). من ناحيةٍ أخرى، إذا اخترنا عدم الإيمان بالله فلن نُحرز سـعادةً عظيمةً في أيّ ظرفٍ من الظروف. يُمثِّلُ الرسـم البياني التالي أو «المصفوفة»[٢] التي قدّمها هاكينغ[٣] خصائصَ إشكالية اتّخاذ القرار:

الحالات الممكنة للأوضاع والنتائج:		
	الله موجود	الله غير موجود
الخيار الأول: الاعتقاد بالله	مكسب كبير	لا مكسب كبير
الخيار الثاني: عدم الاعتقاد بالله	لا مكسب كبير	لا مكسب كبير

وفقًا للافتراضات المذكورة في الرسـم البياني، يدّعي باسكال أنّ الخيار المنطقي هو الإيمان بالله. باسـتخدام المصطلحات الحديثة، «يُسـيطرُ»[٤] خيارُ الإيمان بالله على خيار عـدم الإيمان به لأنّ النتيجة هي أفضل إذا كان الله موجودًا وليسـت النتيجة أسـوء إذا لم يكن موجودًا. مع ذلك، أعاد باسـكال التفكير بالافتراض

١. يشرح الكاتب فيما يلي بعض الانتقادات التي وُجِّهت إلى هذا الادعاء.

2. matrix

3. Hacking, “The Logic of Pascal’s Wager”.

4. dominates

المبدئي -وربما العجول- الذي يُفيدُ أنّ المرء لن يخسرَ شيئًا إذا كان مؤمنًا، وذلك لأنّه إذا اتّضح أنّ الله غير موجود فإنّ المؤمن قد آمن سُدىً وربما خسرَ كثيرًا من المنافع التي كان ليتمتّع بها في الحالة الأخرى. وعليه، صقلَ باسكال الحجّة عبر طرح المفهوم التالي: إذا كان الله موجودًا، فإنّ المكسب في العالم الآخر للمؤمن لن يكونَ عظيمًا فحسب بل لانهائيًا. تمسّك باسكال بالافتراض القائل إنّه لا يملكُ أحدٌ فرصة إحراز المكسب اللانهائي إذا لم يكن الله موجودًا، ولا إذا اختار الفردُ عدم الإيمان. (من الملفت أنّ باسكال لا يدّعي أنّ الكافر سوف يلقى ضررًا كبيرًا إذا كان الله موجودًا، ويدّعي فقط أنّ الكافر سوف يخسرُ المكسب اللانهائي.) تُمثِّلُ المصفوفة التالية النموذج المصقول من إشكالية القرار:

الحالات الممكنة للأوضاع والنتائج:		
	الله موجود	الله غير موجود
الخيار الأول: الاعتقاد بالله	مكسب لانهائي	بعض الخسران المحدود
الخيار الثاني: عدم الاعتقاد بالله	مكسب محدود	مكسب محدود

نظرًا إلى هذه الافتراضات، يحتجُّ باسكال مُجددًا أنّه من المنطقيّ أكثر اختيارَ الإيمان بدلًا من الكفر، وذلك لأنّ الخيارَ الذي ينطوي على احتمالٍ ولو ضئيلٍ باكتساب القيمة اللانهائية هو خيارٌ أكثر عقلانية من الخيار الذي ينطوي على احتمالٍ كبيرٍ باكتساب قيمةٍ كبيرة للغاية ولكنّها محدودة. استخدامًا للاصطلاح الحديث، خيارُ الإيمان بالله يحملُ قيمةً مُتوقَّعة[1] أعلى من خيار الكفر. تُحسَب القيمة المتوقَّعة للخيار من خلال:

1. expected value

١. ضرب احتمال كلّ وضعٍ مُمكن بقيمة نتيجة ذلك الخيار؛ و:

٢. احتساب مجموع كلّ المنتجات التي حصّلناها، لجميع الأوضاع الممكنة في ذلك الخيار.

الأساسُ المنطقي وراء مبدأ القيمة المتوقَّعة هو أنّه يُوفِّرُ عمليةً معقولة لكي نأخذ بعين الاعتبار كُلًا من الاحتمالات والقيم المحتملة للخيارات المتاحة. وعليه، إذا كان احتمال وجود الله (كما يفترضُ باسكال) هو ½، يُمكن أن تُحسَب القيمة المتوقَّعة للإيمان بالله كما يلي:

½ × المكسب اللانهائي + ½ × بعض النقص المحدود = المكسب اللانهائي.

لاحِظ أنّه يُمكن التوصُّل إلى النتيجة نفسها حتّى ولو كان احتمالُ وجودُ الله أقلّ من ½، ما دام يُفترض أنّه احتمالٌ واقعي أكبر من صفر. إضافة إلى ذلك، على ضوء افتراضات باسكال، تُحسب القيمة المتوقَّعة لعدم الإيمان بالله كما يلي:

½ × المكسب المحدود + ½ × بعض الكسب المحدود = بعض الكسب المحدود.

النتيجة هي أنّ القيمة المتوقَّعة للإيمان بالله هي لانهائية، والقيمة المتوقَّعة للكفر هي محدودة. وعليه، الإيمان بالله هو الخيار المنطقي. في هذه المرحلة، تناول باسكال اعتراضًا أخيرًا. بعد أن ظهرَ أنّه من المنطقي براغماتيًا الإيمانُ بالله، قد يتذمّر الملحد أنّه لا يستطيعُ أن يتمالكَ نفسه عن الإلحاد، والواقع هو أنّه لا يؤمن بالله. وعليه، ماذا يفعلُ الملحد؟ في الإجابة، قدّم باسكال النصيحة التالية: إذا تصرّفَ الفرد وتكلّم مثل المؤمن المتديِّن، فسوف يُصبحُ مؤمنًا مُتديِّنًا عاجلًا أم آجلًا. رغم أنّه قد لا يُمكننا أن نختار الإيمان بمقولةٍ ما، إلا أنّه يُمكنُ أن نختارَ فعلَ بعض الأمور المحدّدة التي يُرجَّحُ أنّها تُحفِّزُ ذلك الإيمان. في الختام، أشار

باسكال إلى أنّ الفرد الذي يتّبعُ هذا المسار سوف يصلُ في النهاية إلى إيمانٍ مُستقيم ومُخلص بالله، حيث يُترَك حساب الرِهان في الوراء بطريقةٍ ما.

٢. رهانُ باسكال: النقد

هذا الملخَّص حول رهان باسكال يكفي. تمّ توجيه النقد إلى هذه الحجّة منذ صدوره، وذلك على أُسسٍ مُتعدِّدة. رُغم أنّ كثيرًا من الفلاسفة يعتبرون أنّ حجّة الرهان قد فشلت بنحوٍ تعيس، إلا أنّ عددًا من الفلاسفة الآخرين منذ أواخر القرن العشرين قد نهضوا للدفاع عنها. يُمكن أن نُصنِّف الاعتراضات المعيارية ضمن أربع فئات، وسوفَ نقومُ أيضًا بمناقشة الدفاعات والمراجعات المتعلِّقة بحجّة الرهان.

(١) تتّصلُ إحدى مجموعات الاعتراضات بادّعاءات باسكال عند البدء حول الخصائص المعرفية لإشكالية القرار. يدّعي باسكال أنّ قابلياتنا المعرفية غير قادرة على اتّخاذ القرار حول الإيمان بالله. الأساسُ الوحيد الذي يُقدّمه باسكال لهذه الدعوى هو أنّ فكرة الله هي لانهائية بينما العقل البشري هو محدود. لا ينتجُ عن ذلك أن يعجز الفرد معرفيًا عن تقييم وجود الله أو عدمه. في النهاية، نحنُ قادرون على أن نُشكِّلَ تصوُّرًا ما حول الكائن اللانهائي، وإلا لما كُنّا نُجري هذا النقاش الآن. إضافة إلى ذلك، اللانهائية ليست الخاصيّة الوحيدة لمفهومنا حول الله. يعتقدُ باسكال أنّ الله ذكيٌ وقويٌ ومنّان، وأنّه حَكَمٌ أيضًا لأنّه يُكافئ الذين يؤمنون به. يُمكن أن تُستخدَم (وقد استُخدِمت فعلًا) هذه الخصائص المتّصلة بمفهومنا حول الله في الاحتجاجات المعرفية لصالح وجود الله أو ضدّه. على أقلّ تقدير، يحتاجُ باسكال أن يُدافع بشكلٍ أساسيٍ أكثر عن الادّعاء الذي يُفيدُ أنّ الفكر المعرفيّ عاجز عن أن يُقيِّم فيما إذا كان الله موجودًا.

ثمّة اعتراضٌ مُتّصل يتعلّقُ بافتراض باسكال الظاهري بضرورة تعيين «½»

إلى احتمال وجود الله. وظّفَ باسكال هذا الافتراض كقاعدةٍ للتصريح بأنّه يجب البتّ في قرار الإيمان على أُسسٍ براغماتية. إذا حازَ وجودُ الله (أو عدم وجوده) احتمالًا أعلى من ½، فإنّ الانتقال نحو الاعتبارات البراغماتية لن يكونَ مُبرَّرًا. (الفكرة القائلة أنّ باسكال يؤيِّدُ رميَ الفكر المعرفي إلى الرياح واتّخاذ القرار على أُسُسٍ براغماتية فحسب تُعدُّ قراءةً خاطئة لحجة الرهان.) يُمكن أن يُحتجّ أنّه إذا عجزت قابلياتنا المعرفية عن اتّخاذ القرار حول الإيمان بالله أم لا، فإنّ الخيار المنطقي معرفيًا في هذه الظروف هو إما:

أ) ترك احتمال وجود الله من دون تعيين؛ أو:

ب) تبنّي الفرضية الأشدّ شُحًا من الناحية الميتافيزيقية بأنّ الله غير موجود.

يتحتّمُ على أيّ دفاعٍ أو إعادة صياغةٍ لحجّة الرهان أن يُظهِر لماذا هذان الخياران هما خاطئان، أو لماذا تنجحُ الحجّة رغمًا عن هذين الخيارَين.

قد يردُّ المدافعون عن رهان باسكال أنّ الحجّة موجّهة نحو جمهورٍ مُحدّد، أي اولئك الذين يجدون الأدلة المعرفية على وجود الله أو عدمه غير قطعية[1]، أو الذين يجدون أنفسهم في مأزق الاعتقاد بأنّ وجود الله وعدم وجوده يملكان الاحتمال عينه تقريبًا. ولكن حتى لو كان يُمكنُ إنقاذُ حجّة الرهان بهذه الطريقة، ثمّة اعتراضٌ آخر يتّصلُ بدعوى باسكال أنّ الخيار بين الإيمان بالله والكفر هو «قسري»[2]. إذا كان القرار هو الإيمان بوجود الله أو الإيمان بعدم وجوده، يبدو أنّ هناك خيارٌ ثالث وهو عدم الاعتقاد بأيٍ من الفرضيتين. فلنفترض أنّ (ج) يرمزُ إلى جُملة ما، فثمّة اختلافٌ معرفيّ حقيقي بين الاعتقاد بعدم (ج) وبين عدم الاعتقاد بـ(ج). المقارنة مُفيدة هنا. يعتقدُ بعضُ الناس بوجود حياة على كواكب

1. Rescher, Pascal's Wager: A Study of Practical Reasoning in Philosophical Theology, 25.

2. forced

أخرى بينما يعتقدُ آخرون بعدم وجود حياة على الكواكب الأخرى، ولكنّه يبدو ممكنًا إلى حدٍ بعيد أن نُعلِّق الاعتقاد، أي أن لا نعتقد بأيٍ من المقولتين. يُظَنُّ أحيانًا أنّ باسكال يستطيعُ أن يردّ بسهولةٍ من خلال التصريح بأنّ تعليق الإيمان بوجود الله يُساوي الاعتقاد بعدم وجود الله، لأنّ الله لن يُكافئ اللأدريّين أكثر من مُكافئته للملحدين. ولكن، إلى جانب الإشكالية حول الكيفية التي يُمكن لباسكال أن يُبرِّر هذا الادّعاء اللاهوتي، يبقى الاعتراضُ أنّه طالما أنّ تعليق الإيمان هو خيارٌ حقيقي، فإنّه على نحوٍ قابلٍ للاحتجاج أكثر خيارٍ منطقي معرفيًا حتّى ولو تضمّن فُقدان النعيم اللانهائي. وفقًا لفهم باسكال، إذا كان تعليقُ الإيمان احتمالًا حقيقيًا فإنّ الانتقال إلى الاعتبارات البراغماتية مسدود.

ثمّة تنقيح ممكن آخر، وهو إعادة صياغة حجّة الرهان كحجّةٍ دعمًا لإلتزامٍ ديني ما غير الإيمان، كالافتراض لغايةٍ عملية أنّ الله موجود[1]. من الشائع إمكانيةً أن يكون من المنطقي براغماتيًا أن نفترضَ بأنّ مقولةً ما هي صحيحة، حتّى ولو كان من المنطقي معرفيًا تعليقُ الاعتقاد بتلك المقولة. على سبيل المثال، قد لا يعلم عالِم الطبيعيات إذا كان بالإمكان الحصول على علاجٍ للسرطان. ولكن قد يكون من المنطقيّ براغماتيًا أن نفترضَ لغايةٍ عملية أنّه يُمكنُ الحصولُ على هذا العلاج. قد تنطبق إستراتيجية مُشابِهة في حالة الدِّين. حتّى لو وُجد دليلٌ معرفيّ غير كافٍ على وجود الله، قد يكونُ الحالُ فعلًا هو تحقُّق تبريرٍ براغماتي لافتراض وجود الله لغاياتٍ عملية، لو كان يُمكنُ أنّ يتمّ إظهار أنّ الطريقة الوحيدة أو الطريقة الأفضل لحيازة خيرٍ قيّمٍ للغاية هي من خلال تكوين ذلك الافتراض. تتفادى هذه الإستراتيجية عدّة انتقادات موجّهة إلى حجّة الرهان تُركّز على مُحاولته لتوفير تبريرٍ براغماتي للإيمان. سوف نعودُ لاحقًا إلى هذا الاقتراح الأخير.

1. Golding, “Toward a Pragmatic Conception of Faith”.

(٢) ثمّــة فئةٍ أخرى من الاعتراضات تنطوي على مخاوف تقنية تتعلّقُ بفكرة القيمة اللانهائية، وخصوصًا فيما يتعلّقُ باســتخدام القيمة اللانهائية في الحساب حول القيمة المتوقَّعــة. أولًا، بأيّ معنى يُمكنُ للمخلوق المحدود أن يُحرز الخير اللانهائي؟ ينبغي تفســيرُ فكرة الخير اللانهائي والدفاع عنها. إحدى الوســائل الطبيعية التي يُمكنُ من خلالها لباسكال أن يشرعَ في تحقيق ذلك هو عبر توظيف فكــرة الله. يُتصوَّر الله على أنّه الموجود الخيِّر بنحوٍ لانهائي، وأما القيمة اللانهائية فينبغــي أن نتصــوّر أنّها تتألّفُ في نوعٍ مــن العلاقة مع الله حيث يُشــاركُ الفرد أو يشــتركُ في خير الله اللانهائي[1]. المســألة المتعلّقة بإمكانيــة أن نُنجز هذا الأمر بنجاح تقع خارج نطاق بحثنا هنا. ولكن كما ســوف نُلاحِظُ لاحقًا، تُقوّي هذه الإستراتيجية حجّة الرهان بطرق أخرى أيضًا.

مــع ذلك، حتّى بناءً عــلى فرضية معقولية القيمة اللانهائيــة، يبدو أنّه يجبُ أن يكــون الفــردُ حذرًا من توظيــف القيمة اللانهائية في الحســاب حول القيمة المتوقَّعة. في مسار هذا البحث، يدّعي باسكال أنّ الاحتمال الضئيل بإحراز القيمة اللانهائية دائمًا يتجاوزُ أيَّ فرصةٍ كبيرةٍ باكتســاب قيمةٍ محدودة كبيرة. مع ذلك، يبدو أيضًا (بنحــوٍ مُنافٍ للعقل) أنّ الخيار الذي يملــكُ احتمالًا ضئيلًا بإحراز القيمة اللانهائية يملكُ القيمةَ المتوقَّعة نفســها كالخيار الذي يملكُ احتمالًا كبيرًا بأن يؤدّي إلى القيمة اللانهائية. على سبيل المثال، افترِض أنّه في رهانٍ واحد لديّ فرصة ½ بالفوز بقيمةٍ لانهائية، وفي الرهان الثاني لديّ فرصة 20/ 1 بالفوز بقيمةٍ لانهائية. يقولُ العقلُ الســليم إنّه من المنطقي اختيــارَ الرهان الأول على الرِّهان الثاني. ولكن إذا وظّفنا حساب القيمة المتوقَّعة، يتّضحُ أنّ القيمة المتوقَّعة للرهانَين هي لانهائية! لعلّ الدرسَ الذي نستمدّه هو أنّه لا ينبغي للفرد أن يستخدمَ القيمة

1. Golding, Rationality and Religious Theism.

اللانهائية في أيّ حسابٍ حول القيمة المتوقَّعة أبدًا.

إحدى الوسائل التي يُمكن أن يُوظّفها مؤيِّدو حجّة الرهان في الإجابة هي الاعتراف بأنّه في الحالات حيث تكونُ القيمة اللانهائية على المحك، لا ينبغي أن يُطبِّق الفرد حسابَ القيمة المتوقَّعة بشكلٍ مباشر بل يجب أن يتعامل مع تلك القيمة اللانهائية على أنّها ليستْ أسوء من قيمةٍ محدودة عالية بنحوٍ هائل. افترض أنّه وفقًا للرهان (أ) لديّ فرصة ½ بإحراز القيمة اللانهائية، ووفقًا للرهان (ب) لديّ فرصة 1/20 بإحراز القيمة اللانهائية. إذا طبّقتُ القيمة المتوقَّعة بالطريقة المعيارية، سوفَ أُحرِزُ فعلًا النتيجة المخالِفة للحدس المتمثِّلة في أن يكون الخياران منطقيَّين بالتساوي. ولكن إذا تعاملتُ مع القيمة اللانهائية على أنّها ليست أسوء من قيمةٍ عالية للغاية ومحدودة، فإنّ القيمة المتوقَّعة للخيار الأول سوف تكونُ أعلى من القيمة المتوقّعة للخيار الثاني، وذلك لأنّ فرصة ½ لإحراز قيمةٍ محدودة عالية للغاية هي بشكلٍ واضح أعلى من فرصة 1/20 لإحراز تلك القيمة نفسها. من ناحيةٍ أخرى، افترِض أنّه وفقًا للرهان (ج) لديّ فرصة 1/20 لإحراز القيمة اللانهائية، بينما وفقًا للرهان (د) لديّ فرصة ½ للفوز بقيمةٍ محدودة كبيرة، فلنسمّها «ز». يجب أن أتردّد فعلًا في تطبيق القيمة المتوقَّعة بشكلٍ مباشر على هذه الحالة. مع ذلك، أَعلمُ أنّه ثمّة قيمةٌ محدودة عالية بما فيه الكفاية –فلنسمّها «ه»– لكي تكون فرصة 1/20 للفوز بـ«ه» مُفضَّلة على فرصة ½ للفوز بـ«ز». على وجه التحديد، ما دامَ «ه» أكثر بعشر مرات من «ز»، فإنّ القيمة المتوقّعة للرهان (ج) سوف تكونُ أعلى من القيمة المتوقَّعة للرهان (د). ولكنّني أعلمُ أنّ القيمة اللانهائية ليست أسوء (بل هي أفضل بكثير بالفعل!) من «ه». وعليه، يُمكنُ أن أستنتجَ بأمان أنّ (ج) يُشكِّلُ الرهان الأفضل.

ثمّة تنقيح آخر ممكن، وهو استبدال فكرة القيمة اللانهائية بفكرة الخير

الأسمى المحدود ولكن المتفوِّق نوعيًا على أيّ خيرٍ آخر مُنافِس[1]. يكونُ نوعٌ مُحددٌ من الخير مُتفوقًا نوعيًا على نوعٍ آخر من الخير إذا كان أيّ جزءٍ صغير من ذلك الخير الأول أفضل من أي مقدارٍ كبيرٍ من نوع الخير الثاني، وأي زيادة تدريجية في ذلك الخير الأول هي أفضل من أيّ زيادةٍ كبيرة في النوع الثاني من الخير. حينما نُوظِّف مبدأ القيمة المتوقَّعة، يكونُ حتّى الاحتمال الضئيل بإحراز النوع الأول من الخير أعلى من الاحتمال الكبير بإحراز أيّ مقدارٍ من نوعٍ أقلّ من الخير. ولكن بما أنّ ذلك الخير محدود، فإنّ الفرصة الأعلى بإحراز ذلك الخير المتفوّق سوف تكونُ مُفضَّلة على الفرصة الأقل بإحراز ذلك النوع نفسه من الخير. وعليه، تتمثّلُ الإستراتيجية إذًا بالاحتجاج بأنّ نوعَ الخير الذي يُمكنُ أن يُحرزه الفرد عبر امتلاك نوعٍ مُحدّدٍ من العلاقة مع الله هو مُتفوقٌ نوعيًا على أيّ خيرٍ آخر مُنافس. بما أنّ ذلك الخير يُتصوَّر على أنّه محدود، ينتجُ عن ذلك أنّ أي مسارٍ للعمل يُعتبَر أنّه يحظى بفرصةٍ أكبر لإحراز ذلك الخير هو منطقيٌ أكثر من أيّ مسار عمل يحظى بفرصةٍ أقل لإحراز ذلك الخير نفسه. سوفَ نعودُ إلى هذه الإستراتيجية بعد قليل.

(٣) تتّصلُ المجموعة الثالثة من الاعتراضات بافتراضات باسكال حول الرابطة بين امتلاك مُعتقداتٍ دينية مُحدّدة وإحراز مكسب لانهائي (إذا كان قابلًا للاكتساب بأيّ حال). يَفترضُ باسكال من دون احتجاج أنّ الاحتمال الوحيد لإحراز المكسب اللانهائي هو وجود إله (من نوعٍ ما) وإيمان الفرد به. هذا يُثيرُ ما يُحتملُ أنّه الاعتراض الذي نوقِش على أوسع نطاق على حجّة الرهان أي «إشكالية الآلهة الأخرى». يبدو أنّ باسكال يتفادى بنحوٍ لامُبالي عدّة حالاتٍ مُمكنة. لنعدِّد بعضًا منها فقط، لعلّ الله غفور ويُكافئ الجميع بالنعيم اللانهائي في

1. Golding, Rationality and Religious Theism, 79-81.

الآخرة بغضّ النظر عن مُعتقداتهم. في المقابل، لعلّ الله يُكافئ فقط اولئك الذين لايكونُ إيمانهم به مُحفَّزًا من قِبل اعتباراتٍ براغماتية. ثمّة احتمالٌ إضافي، وهو أنّ الله يُكافئ بعضَ المؤمنين فقط، على سبيل المثال المسلمين وليس المسيحيّين. أو لعلّه يُكافئ فقط اولئك الذين يؤدّون فِعلًا اعتباطيًا أو مُنافيًا للعقل كالقفز ثلاث مراتٍ كلّ نهار ثلاثاء. أو ربما يُكافئ الله جميع الملحدين فقط. بالفعل، حاولَ بعضُ نقّاد باسكال أن يُوظِّفوا إستراتيجية حجّة الرهان كحجةٍ لصالح الإلحاد، مُعتبرين إيّاها الخيار الأسلم في هذه الظروف[1]. في الختام، ورُغم أنّ هذا يُقترح بشكلٍ أقلّ شيوعًا، تجاهلَ باسكال إمكانية أن يكون بعض المكسب اللانهائي قابلًا للتحصيل حتى على فرض عدم وجود الإله. عند التفكير بأيٍ من هذه الاحتمالات، يفشلُ رِهانُ باسكال في إرساء نتيجته المتمثِّلة في أنّه من المنطقي براغماتيًا الإيمان (بنوعٍ مُحدد) من الإله.

من الواضح أنّه إذا وُجِدت وسيلةٌ ما لنأخذ بعين الاعتبار الاحتمالات النسبية للفرضيات المتنوّعة التي تتعلّقُ بالطريقة الأكثر معقوليةً و/ أو احتمالًا التي يُمكنُ من خلالها أن يُحرز الفرد المكسب الأقصى، فإنّ هذا سوف يُساعدُ حجّةَ باسكال. رغم ذلك، يتفاقمُ الاعتراض الحالي حينما يؤخَذ مع الاعتراض السابق. كما ذكرنا آنفًا، إذا اعتمدَ باسكال على الإستراتيجية المتمثِّلة في محاولة إظهار أنّ القيمة المتوقَّعة للإيمان بالله هي لانهائية، تنشأ مشكلة تُفيدُ أنّ الخيار الذي يملكُ ولو فُرصةً ضئيلة بإحراز القيمة اللانهائية هو لانهائي أيضًا. وعليه، يبدو أنّه طالما يوجدُ ولو احتمالٌ ضئيلٌ بإمكانية أن يكسب الفردُ القيمة اللانهائية من دون الإيمان (بنوعٍ مُحدّد) من الإله، فإنّ حجّة باسكال تفشل.

بطريقةٍ مُماثلة، إذا أمكنَ مواجهة الاعتراض الموصوف سابقًا بأيٍ من

1. Martin, “Pascal’s Wager as an Argument for not Believing in God”.

الطريقتين الموصوفتَين آنفًا، تخفُّ حدّةُ الاعتراض الحالي ولو لم يتلاشَ كُليًا. فلنفترض أنّنا لا نتناول المكسب الأقصى المتمثِّل بامتلاك علاقةٍ مُحدّدة مع الله على أنّه لانهائي، بل على أنّه ليسَ أسوء من قيمةٍ محدودة وعالية بشكلٍ هائل. أو فلنفترض أنّنا نتصوّرُ أنّه محدودٌ ولكنّه مُتفوقٌ نوعيًا على جميع الخيرات الأخرى غير الدينية. وفقًا لأيٍّ من هاتين الإستراتيجيتَين، يتّضحُ أنّ الخيار الذي يملكُ احتمالًا أكبر بأن يُنتِج تلك القيمة العليا (ولكن المحدودة) يملكُ قيمةً مُتوقَّعة أعلى من أيّ خيارٍ يملكُ احتمالًا أقلّ بأن يُنتِج تلك القيمة. بهذه الطريقة، تُصبِحُ الاحتمالات النسبية للفرضيات المتنوّعة حول الكيفية التي يُمكنُ للفرد من خلالها أن يكسبَ القيمة العليا سديدة.

مع هذه المعالجة، يُمكنُ أن يردّ المدافعون عن رهان باسكال على «إشكالية الآلهة الأخرى» من خلال الاحتجاج بأنّه من المحتمل أكثر أنّ المكسب الأعلى سوف يُكسَب إذا وُجِدَ (نوعٌ تقليدي) من الإله بدلًا من عدم وجوده. تتمثّلُ الإستراتيجية هنا في إرساء رابطةٍ مفهومية بين المفهوم التوحيدي التقليدي حول الله ومفهوم القيمة العليا. على سبيل المثال، يُمكن أن يُحتجّ أنّ الكائن الخيِّر والقوي بالدرجة العليا هو فقط من يستطيعُ أن يُقدِّم نوعًا من الخير يكونُ إما عاليًا بشكلٍ هائل أو مُتفوّقًا نوعيًا على أيّ خيرٍ آخر مُنافس. في المقابل، يُمكن أن يُحتجّ أنّ المكسب الأقصى يُتصوَّر بأفضل نحوٍ على أنّه علاقة يشتركُ أو يُشاركُ فيها الفرد مع خير الكائن الخيِّر بالدرجة العليا، والذي هو مُتفوقٌ نوعيًا على أيّ كائنٍ آخر مُمكن. إذا كان هذا صحيحًا، فإنّ الإله الذي يُكافئ فقط جميعَ الذين يقفزون ثلاث مرات كلّ نهار ثلاثاء هو ليس الإله الذي يُمكنه أن يُوفِّر النوعَ الأفضل من الخير. على هذا النحو، يُمكن الاحتجاج أنّه من الأكثر معقوليةً أن يُحرز الإنسان القيمةَ العليا إذا وُجد نوعٌ تقليدي من الإله بدلًا من عدم وجوده.

هذا بدوره يُشيرُ أنّه على الأرجح ينجحُ الإنسان في اكتساب القيمة العليا إذا تبنّى الإيمانَ التقليدي وليس اللاأدرية أو الإلحاد.

حتّى لو نجحت هذه الإستراتيجية، تحومُ مشكلتان. أولًا، كيف يعرف الإنسان أيِّ دينٍ إلهي يختار؟ فلتتم صياغةُ السؤال بطريقةٍ مُختلفة: لماذا ينبغي أن يكون الإنسان مسيحيًا وليس يهوديًا أو مُسلمًا (أو العكس)؟ حينما يتوقّف النظر إلى القيمة العليا على أنّها لانهائية، قد يُجيب المدافعون عن رهان باسكال أنّه: ١) يجب أن يختار الإنسان الدِّينَ الذي يبدو على الأرجح صحيحًا على أُسُسٍ أخرى، أو ٢) يجب على الأقل أن يختار الإنسان نموذجًا مُحددًا من الإيمان بدلًا من عدم الإيمان. السبب هو أنّه لو وُجِدت طرقٌ معقولة بالتساوي لإحراز القيمة العليا، فإنّه من المنطقي بالتساوي اختيارها جميعًا، ولكن يجب على الإنسان أن يختار واحدةً على الأقل من تلك الطرق عوضًا عن عدم اختيار أيٍ منها.

تلبثُ مشكلةٌ ثانية وهي تتعلقُ بالافتراض الذي يُفيدُ أنّ الإيمان بالله ضروريٌ أو حتّى أنّه يُساهمُ في إحراز الخير الأعلى. افترض أنّه صحيحٌ أنني سوف أُحرزُ الخير الأعلى فقط إذا وُجِد نوعٌ مُحدّد من الإله، ولكن لما ينبغي أن أظن أنّ الإيمان بالله هو ضروري أو يُساهمُ في إحراز ذلك الخير الأعلى؟ إحدى الردود الممكنة هي كالتالي: يتّفقُ أنّ الدِّين الذي يبدو إجمالًا أنّه الأرجح من بين جميع المرشّحين يُدرِّسُ العقيدة التي تُفيدُ أنّ الإيمان ضروري لإحراز القيمة العليا. بالطبع، لا يسري مفعولُ هذا الرد إلا إذا كان يُمكنُ فعلًا إظهار أنّ الدِّين موضعَ السؤال هو مُرجّح الصحّة عن غيره. أمّا الرد الآخر الممكن فهو أنّه إذا كان الخير مُتصوَّرًا في العلاقة مع الله، فلا يُمكنني أن أحظى بتلك العلاقة إلا إذا آمنتُ بالله. مع ذلك، هذا لا يُظهِرُ بنفسه أنّ امتلاكَ الإيمان يُساهمُ بحدّ ذاته في إحراز تلك العلاقة. مرةً أخرى، ثمّة إستراتيجية مُلائمة وهي تتمثّلُ في استبدال محاولة تبرير

الإيمان بالله بمحاولة تبرير الافتراض البراغماتي بأنّ الله موجود، وذلك بهدف السعي وراء علاقةٍ جيّدة مع الله[1]. بالفعل، إذا أمكن أن يُحرز الإنسان القيمة العليا فقط إذا وُجد الله، فمن المنطقي أن يتمّ توجيه الأفعال الشخصية وفقًا للافتراض القائل بوجود الله، بهدف السعي وراء تلك العلاقة. سوف نعودُ إلى هذه الإستراتيجية بعد قليل.

(٤) تدّعي المجموعة الرابعة من الاعتراضات أنّ حجّة الرهان تنصحنا بفعل شيءٍ غير أخلاقي أو غير مُناسب دينيًا. فلنفترض أنّ أحدهم تمكّن من أن يُظهر أنّ الإيمان بالله هو «رِهاننا الأفضل». مع ذلك، هل ما زال من المناسب أخلاقيًا الإيمان بشيءٍ عل قاعدة النفع الشخصي؟ هل من المخلص دينيًا أن نفعل ذلك، حتّى مع وجود الله؟ إضافة إلى ذلك، يبدو أنّ نصيحة باسكال الختامية -التي تُفيدُ أنّ الإنسان يُمكن أن يدفع نفسه نحو الإيمان من خلال التصرُّف كمؤمن - تُشكِّلُ نوعًا من غسيل الدماغ.

قد يردّ باسكال كالتالي: من المؤكَّد أنّه لا يوجد شيء خطأ في السعي وراء المصلحة الشخصية طالما أنّ الإنسانَ لا يرتكبُ شيئًا غير أخلاقي خلال العملية. السؤال هو: هل إنّ الإيمان بشيءٍ على قاعدة المصلحة الشخصية يكونُ غير أخلاقي أو غير مُناسب بنحوٍ ما؟ سبقَ وأن احتجّ باسكال أنّه في هذه الحالة المحدّدة: أ) لا يُمكن أن يتّخذ الفكر المعرفيّ القرار حول الإيمان بالله أو عدمه؛ ب) نحن مجبَرون على اتّخاذ قرار. إذا كان باسكال مُحقًا فيما يتعلقُ بهذين الادّعائين، فليس لدينا خيارٌ آخر غير اتّخاذ القرار على أُسسٍ غير معرفية. بما أنّنا مُجبَرون على اتّخاذ القرار على أُسسٍ غير معرفية، فلنفعل ما يصبُّ في مصلحتنا العليا.

تنطبقُ النقطة عينها في الدفاع عن نصيحته الختامية حول تصرُّف الإنسان

1. Golding, Rationality and Religious Theism.

كمؤمـن. وفقًا لفهم باسـكال، فإنّ اعتقـادَ الملحِد هو عديمُ الأسـاس معرفيًا تمامًا كاعتقاد المؤمن، والاثنـان يقعان في موقع الاعتقاد كنتيجةٍ لاعتباراتٍ غير معرفية. لعلّ اعتقاد الملحِد هو نتيجة للعادة أو للتربية أو ببساطة للرغبة في تفادي تعقيدات الكنيسة. على نحوٍ قابلٍ للاحتجاج، فإنّ الادّعاء بأنّ «دفع النفس نحو الإيمان» بمقولـةٍ ما هو أمر غير أخلاقي يكونُ صالحًا فقط إذا امتلك الإنسـان خيار البتّ معرفيًا بالإيمان بتلك المقولة أم لا. سـبقَ وأن احتجَّ باسـكال أنّه في هذه الحالة، لا يكونُ البتّ المعرفيّ مُمكنًا. أن ندّعي أنّ باسكال مخطئ حيال ذلك يعني العودة إل الانتقادات الأخرى التي ناقشناها آنفًا.

إضافة إلى ذلك، وفيما يتعلّقُ بالقلق حول «المصلحة الشـخصية»، يسـتطيعُ باسكال أن يُعيد بسهولةٍ صياغة الحجّة باعتبارها لجوءًا إلى التفكير بما هو الظرف الأفضل الممكن لكي يُحرزه الإنسـان. الفكرة التقليدية حول الآخرة هي ليست مجرد فكرة لذةٍ أو نعيمٍ ذاتي، بل يتمّ تصوُّرها أيضًا كأفضل وضعٍ ممكن موضوعيًا. لا يُمكـنُ أن يوجد شيءٌ أفضل من امتـلاك أفضل علاقةٍ مُمكنة مع أفضل كائن ممكن (أي الله). السـبب الوحيد وراء استخدام باسكال بشـكلٍ مُتكرّرٍ لعبارة «السـعادة»[1] في حجّـة الرهان هو لأنّه يفـترضُ أنّ جمهوره مهتـمٌ (بفظاظة؟) بمصلحته الذاتية. ولكن فيما يتعلّقُ بالمهتمّين بالسـعي وراء أفضل حياةٍ ممكنة، يُمكن أن يحتجّ باسـكال أيضًا أنّ التصويب نحـوَ النعيم هو أفضل خيار ممكن من وجهة نظرٍ أخلاقية. في الواقع، لقد احتُجَّ أنّه يُمكنُ اسـتخدامُ إسـتراتيجية باسـكال لكي نُظهر أنّه يقعُ على عاتق الإنسـان واجب مُساعدة الآخرين لكي يُصبحـوا مؤمنين لأنّه مـن خلال ذلك يُعزِّز الإنسـان فرصهـم بإحراز ما هو

1. happiness

خيرٌ لهم[1]. بعبارةٍ وجيزة، اللجوء إلى المصلحة الشخصية لا يستثني اللجوء إلى الاعتبارات الأخلاقية أيضًا.

الاعتراضُ بأنّ الإيمان المستنِد براغماتيًا هو غير مُناسب دينيًا لا يُمكنُ طرحه إلا عبر وجهة نظر دينية. من وجهة نظرٍ مسيحية، يُحتجّ أنّه لا يوجد خطأ مُطلقًا في الإيمان بالله كوسيلةٍ للكسب الشخصي، بل على العكس، كثيرًا ما يحثّنا الكتابُ المقدَّس على الإيمان والعبادة لأنّ ذلك هو من مصلحتنا العليا. ينطبقُ الأمر نفسه على اليهودية والإسلام. بالطبع، قد لا يكونُ هذا هو الهدف المثالي أو الوحيد للإيمان بالله، ولكنّه بالطبع مسألة مُشتركة في كثيرٍ من الأديان العالمية. أشارَ باسكال نفسُه في أواخر الاحتجاج أنّه يُمكن النظر إلى حجّة الرهان كحجر عبور نحو شكلٍ أنضج من الإيمان بالله يتمُّ تطويره لاحقًا في حياة المؤمن أو ربما في حالةٍ مُستقبلية بعد الموت.

في المقابل، يُمكن مُراجعة حجّة الرهان كتبريرٍ لشكلٍ مُحدّدٍ من الإلتزام الديني غير الإيمان، كالافترض لسببٍ عملي بأنّ الله موجود[2]. افترض أنّنا سلّمنا أنّ الاعتقادَ بمقولةٍ مشبوهة معرفيًا على أُسسٍ براغماتية هو أمرٌ مُشكِل أخلاقيًا وفكريًا. بالطبع، ليس من الضروري أن يكون من الإشكاليّ أخلاقيًا أو فكريًا افتراضُ تلك المقولة نفسها لأسبابٍ عملية. سوف يكونُ من المنطقيّ براغماتيًا تكوين ذلك الافتراض، إذا كانت القيمة المحتملة لتكوين ذلك الافتراض أعلى من القيمة الاحتمالية لعدم تكوينه. إذا تمّ تصوُّر تلك القيمة كأفضل حالةٍ موضوعية ممكنة يتواجدُ فيها الفرد، يُمكن حتّى أن يكون من الواجب أخلاقيًا تكوينُ ذلك الافتراض.

---

1. Morris, “Pascalian Wagering”.

2. Golding, “Toward a Pragmatic Conception of Faith”.

٣. الملاحظات الختامية

لقد ناقشنا عدّة اعتراضاتٍ على حجّة الرهان ووجوهًا مُتنوّعة من الردود التي قـد يُقدِّمها المدافعون عن حجّـة الرهان. تتعلّقُ الانتقادات بادّعاءات باسـكال أنّ المنطـق غير قادرٍ على أن يُقيّم وجودَ الله وأنّ الخيار قسري؛ المخاوف التقنية المتعلِّقة بفكـرة القيمة اللانهائية؛ افتراضات باسـكال التي تربطُ الإيـمانَ (بنوعٍ مُحدّد من) الإلـه بإحراز القيمة اللانهائيـة؛ وفي الختام، الهواجس الأخلاقيـة والفكرية حول التبرير البراغماتي للإيمان. لقد ناقشنا إستراتيجياتٍ مُختلفة للدفاع عن حجّة الرهان ومراجعتها. بالنسبة للعديد من الفلاسفة، حجّة الرهان معيوبة بنحوٍ ميأوسٍ منها.

أنـا أرى أنّ أكثر إسـتراتيجية واعِـدة تتمثّلُ في: ١) اسـتبدال فكرة القيمة اللانهائيـة بالقيمة المحدودة ولكن المتفوِّقة نوعيًا على أيِّ نوعٍ آخر من الخير؛ ٢) اسـتبدال مُحاولة تبرير الإيمان بالله بمحاولة التبرير البراغماتي للافتراض، لسببٍ عملي، بأنّ الله موجـود. وعليه، يكونُ العبء في أن نُظهِر لماذا يكونُ معقولًا أن نتصـوّر أنّ العلاقـة مع الله هي مُتفوِّقة نوعيًا على أيّ نـوعٍ آخر من الخير، ولماذا يكونُ معقولًا أن نظنّ أنّ إحدى طـرق الحياة الإيمانية هي أكثر ترجيحًا من أيّ طريقـة حياةٍ غـير إيمانية في إنتاج تلـك العلاقة الجيدة مـع الله. إذا أمكنَ تنفيذُ هذه الوظائف، يُمكن تطبيق إسـتراتيجية حجّة الرهـان بنجاحٍ كتبريرٍ براغماتيٍ للافتراض القائل بوجود الله[١].

١. للاطّلاع على مُحاولةٍ تفصيلية لحلّ هذه الإستراتيجية راجع:
Golding, Rationality and Religious Theism.

المصادر

1. Golding, Joshua, “Toward a Pragmatic Conception of Faith,” Faith and Philosophy Vol. 7, (1990): 486–503.
2. Golding, Joshua, Rationality and Religious Theism, Aldershot: Ashgate, 2003.
3. Hacking, Ian, “The Logic of Pascal’s Wager,” American Philosophical Quarterly, Vol. 9, (1972): 186–192.
4. Martin, M., “Pascal’s Wager as An argument for not Believing in God,” Religious Studies, Vol. 19, (1983): 57–64 .
5. Morris, Thomas, “Pascalian Wagering,” Canadian Journal of Philosophy, Vol. 16 (1986): 437–454.
6. Pascal, Blaise, Pensées, Translated by J. Warrington, London: J. M. Dent, 1973.
7. Rescher, Nicholas, Pascal’s Wager: A Study of Practical Reasoning in Philosophical Theology, Notre Dame, University of Notre Dame Press, 1985.